وجهة النظر في السيرة النسائية في الادب العراقي الحديث

د.اثير محمد شهاب رنا رياض فياض
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الخلاصة
يتضح فيما تقدم ان الراوي العليم في هذه النماذج كان هو الأداة الأقوى في عرض المضمون، خاصة وان السِّير محل الدراسة قد كُتبت بأقلام نسوية، تسعى وراء أثبات هويتها بشتى الوسائل والطرق، أضافة إلى أننا نستطيع ان نفترض ان اختباء الكاتبة خلف الشخصية ما هو إلا قناع أرادت التقنع به لتستطيع أن تفسح المجال لنفسها للحديث بشكل صريح، لاسيما حينما تتحدث عن أمور تتنافي مع المجتمع والتقاليد والعادات. ولابد من الإشارة إلى أن وجود الراوي المشارك في السير محل الدراسة لا يمنع من وجود شكل آخر للراوي كالراوي الخارجي أو الراوي العليم .

Point of View in Women Curriculum Vitae in Modern Iraqi Literature

Dr. Atheer Mohammad Shahab Rana Riad fayadh
University of Baghdad - College of Education for Women – Arabic Language Dept.

Abstract
Throughout what mentioned above, It is obvious that the aware narrator in these biography models was the strongest tool in presenting the content, especially the biographies under study were written by feminine hands, striving to prove her identity by all means and ways. In addition, we can suppose that the hiding of she writer behind the character is no more than a mask, by which she want to mask herself so that she can express herself frankly and freely, especially when she talks about subjects that are inconsistent with the society, customs and traditions. It is important to refer that the existence of the participant narrator in the biographies under study does not prevent the presence of another narrator such as external or aware narrator .

وجهة النظر في السيرة النسائية في الأدب العراقي الحديث

من الجدير بالذكر قبل الدخول في تعريف المصطلح وتقسيماته، نشير إلى أن وجهة النظر في السيرة تختلف عن وجهة النظر في الرواية ، وربما يعود هذا الاختلاف إلى أن السارد في السيرة سارد واقعي، وهو الشخص المادي الذي يتحمل مسؤولية النص الفعلية بعد إنتاجه إياه، في حين أن الرواية لاتشترط أن يكون السارد واقعياً[١]، فضلاً عن أن السارد في السيرة على معرفة كلية بطبيعة الأحداث، في حين السارد في الرواية لا يمتلك معرفة كلية.

ويمكن تعريف وجهة النظر بأنها: " حلية " Truc" تقنية ووسيلة للوصول إلى أهداف اكثر طموحاً" [٢]. ومن ثم فان وجهة النظر تنشأ من لحظة الكتابة؛ فللكاتب وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر المتلقي " القارئ "، وان اتفقا في بعض الرؤى" ومن المهم أن نلاحظ أن الرؤى الادبية لا تتعلق بالإدراك الفعلي للقارئ الذي يظل على الدوام متحولاً رهين عوامل، هي من خارج العمل، وإنما تتعلق بإدراك معروض في صلب هذا العمل "[٣]. لقد اختلف النقاد في مفهوم وجهة النظر، فمنهم جرار جنيت، حيث أطلق عليها تسمية التبئير، بدلاً من وجهة النظر، وقد قسمها على ثلاثة أقسام، وهي: [٤] :-

١- التبئير في درجة الصفر، إذ يكون السارد عالماً اكثر من الشخصية.
٢- التبئير الداخلي، حيث يكون السارد متساوياً مع الشخصية.
٣- التبئير الخارجي،الذي يكون السارد اقل دراية من الشخصية.

في حين أن تودروف"Todorov" يطلق عليها تسمية الرؤية، بدلاً عن وجهة النظر، وهي أيضا ثلاثة أقسام: [٥]

١- الرؤية من الخلف: يصبح الراوي الشخصية " الراوي عالم بكل شيء حتى الأفكار الخاصة بالشخصيات".
٢- الرؤية المصاحبة: يتساوى فيها الراوي مع الشخصية.
٣- الرؤية من الخارج: يكون الراوي أقل دراية من الشخصية.

ومع من الاختلاف في التسمية إلا أنهم اتفقوا على هذا التقسيم:

إنّ السارد" هو الذي يجسد المبادئ التي ينطلق منها إطلاق الأحكام التقويمية، وهو الذي يخفي أفكار الشخصيات أو يجلوها ،...، وهو الذي يختار الخطاب المباشر أو الخطاب المحكي، ويختار التتالي الزمني أو الانقلابات الزمنية"[٦]، فلا وجود لسيرة ذاتية بلا سارد، ومن ذلك يمكن ان نميز بين ثلاثة أنواع، وهي :[٧]

١- السارد عالم بكل شيء: يتم السرد بضمير الغائب بحسب وجهة نظر السارد.
٢- السرد بضمير الأنا (المتكلم): حيث السرد بضمير الانا بحسب وجهة نظر الشخصية.
٣- الوضعية الشخصية حيثالسرد بضمير الغائب بحسب وجهة نظر الشخصية التي تسمى العاكس.
إنّ نجاح العمل الأدبي وجعله عملاً جميلاً لابد للسارد ألاّيغير وجهة نظره طوال النص الأدبي وان اقتضى التغيير، مع وجود ما يبرر مقتضيات ذلك[٨]، ولهذا سأحاول في هذا الفصل من الدراسة، استنطاق النصوص السيرية عن طريق ملفوظاتها النصية، بحثاً عن الذات سواء أكانت هذه الذات ضميراً أم فعلاً ذاتياً[٩].
ويمكن أن تكون وجهة النظر داخلية أو خارجية بحسب السيرة، وان أحد الاختبارات للتمييز بين وجهة النظر الداخلية والخارجية يتم عن طريق محاولة "إعادة كتابة" القطع المعين بضمير المتكلم، فإذا كان ذلك ملائماً، فالقطع مكتوب من وجهة نظر داخلية، أما إذا حدث العكس، فالقطع مكتوب من وجهة نظر خارجية [١٠]، ووجهة النظر تتغير في النص الواحد، فقد تأتي ذات رؤية (وجهة) داخلية أو خارجية ، أو تكون الرؤية من الخلف، وفي هذه الحالة يكون السارد عالماً بكل شيء عن الشخصية، ويجب الأخذ بنظر التصوران وجهة النظر الخارجية لشخصية ما يمكن تحديده أحياناً كوجهة داخلية لشخصية أخرى [١١] ، وان هذا التغيير في وجهة النظر يعود للكاتب، إذ هو الذي يختار أدواته بحرية تامة[١٢].
يلاحظ وجهة النظر الداخلية في سيرة طوارق الظلام، إذ شكلت الشخصية (إكرام) حضوراً رئيساً في السيرة، فقد استطاعت أن تنقل لنا صورة واضحة عن الواقع السياسي الذي كان سائدا في تلك المدة (١٩٦٣م)، " فهي ذات ادركت الواقع من خلال أناها الثائرة، الباحثة عن حريتها، المؤدلجة برؤاها الخاصة، التي تظهر فلسفتها الوجودية تجاه الحياة،"[١٣]، فقدمت الشخصية إكرام " مساحة سردية تخلق حدثاًفي كل مرة" [١٤]، من حضورها في السيرة، ولابد من الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي أن الراوي الرئيس (ابتسام الرومي) قد تقنعت بقناع الشخصية إكرام " ، إذ جعلت منها عنصراً مهماً في سرد الأحداث، فكانت مشاركه مرة، وخارجيه، وعليمه مرة ثالثة، مثال الراوي المشاركقولها: " أنا لا انكر أنني تعلمت الكثير من الحزب، فهو أول من فتح عيني على ما يعنيه المجتمع الطبقي من استغلال وظلم، وإن الرأسمالية لا هدف لها سوى مص دماء الشعوب لحساب حفنة صغيرة من البشر ،...، هل يعقل، ومع كل ما يملكه الحزب من قوى هائلة سواء من المدنيين أو العسكريين أن يأتي عدة أنفار لا يملكون أية قوة ويستولوا على السلطة، ويبادروا إلى ذبح الشيوعين كالخراف" [١٥]، في النص إشارة لما افادته الشخصية من الحزب الشيوعي، فهو أول من ساعدها في معرفة معنى الطبقة في المجتمع، وكيف تتحكم فئة صغيرة في المجتمع عامة وتستغله من أجل مصلحتها، وعلى الرغم قوة الحزب وكثرة مؤيديه إلا أنه لم يستطع الوقوف بوجه الذين تسلموا السلطة وشنوا حملة اعتقالات وتعذيب وقتل ضد الشيوعيين، وفي النص إشارة الى اختلاف الاحزاب من حيث الافكار والمبادئ وكيف كان الحزب الحاكم يرفض كل مُغاير له سواء بالفكر أمبالانتماء، ويرفض أي صوت يمكن أن يعلو فوق صوته، ونلاحظ حجم حضورالسارد الذي كان طاغيا على النحو الذي استطاعت الكاتبة أن تقدم لنا رؤية داخلية وخارجية عن الأحداث والوقائع في قالب فني مؤثر بوصفها راوياً "شاهداً على الأحداث، ومشاركاً في خلقها"[١٦]، ومع تطابق شخصية الراوي في هذه السيرة مع شخصية صاحب السيرة [١٧] ،إلا أن السارد أراد ان يوهم القارئ ان هناك راوٍ آخر يقوم بسرد الأحداث والوقائع غير الشخصية "إكرام" ، مثل ذلك قولها " في هدأة الليل، وبينما كانت إكرام تعانق أحلامها المتهاوية في حضن الصمت الشامل فتح باب الغرفة بعنف وقوة وشعرت أن بعض الرجال يقفون عند جسدها الصغير الملتف بالغطاء الثقيل [١٨]، في النص صورة للوضع الذي كانت اكرام عليه عندما تم اعتقالها، إذ كانت تحتضن بصمت أحلامها المخذولة، فإذا بعدد من الرجال يقفون فوق رأسها بعد أن فتحوا باب الغرفة بعنف وقوة، إشارة للطريقة التي كانت تستخدمها السلطة في الاعتقالات التي لا فرق فيها بين رجل وامرأة، كما قدمت وصفاً للضعف الذي كانت فيه إكرام كونها امرأة بجسد صغير لا يقوى على ما ينتظره من الآلام، ذلك الجسد المثقل بالهموم والأفكار والخوف، وأيضا قولها في موضع آخر " عادت إكرام وسألت نفسها ذلك السؤال الذي طالما تردد في ذهنها في قصر النهاية ترى لو انقلب الوضع وانعكست الظروف فهل ستمسك السوط في وجه هؤلاء الأوغاد؟ هل من الممكن أن يتحول هؤلاء المنحرفون إلى أناس أسوياء؟ هل يمكن لمثل هذه الوحوش أن تتحرر من الرغبات السادية والجشع والحقد والكراهية والرغبة في الانتقام؟ هل بإمكانها أن تقف في مثل مواقفهم لترغمهم على دفع ثمن الدموع والدماء التي لم تنقطع حتى قبل أن يتولوا الحكم في البلاد؟ ومرة أخرى شعرت بالاشمئزاز "[١٩]، وكأن ابتسام (الكاتبة)أرادت أن توهم بأن السارد لا يتطابق مع الراوي (الشخصية) بدليل قولها " كانت إكرام ، شعرت أن بعض الرجال، شعرت بالاشمئزاز"، وكأنها تتحدث عن شخص آخر وليس عن نفسها، وربما استخدام الكاتبة للشخصية " إكرام" وجعلها راوية ولسان ناطق لها، وذلك للحصول على حرية اكثر في الحديث، وفي النص نجد سؤالاً طالما تردد في ذهن المعتقلين والمعذبين في أقبية السجون ومنهم إكرام، وهو ماذا لو تدور الأيام وتتبدل الأدوار فيكون السجان سجيناً والسجين هو السجان؟ فهل يستطيع من كان سجيناً وذاق انواع العذاب والإهانة والألم أن يكون سجاناً ويعامل من سجنوه بالمثل، وتتساءل إكرام يا ترى هل يمكن أن يكون لهؤلاء المتعطشين للدماء أن يكونوا آدميين هل يمكن أن يكون الجلاد إنساناً؟ وفي النص إشارة إلى مساحة العذاب الذي كانوا يمارسونه رجال السُلطة ضد المعتقلين.
ونجد أيضا إنها احتوت على راوٍ خارجي، فضلاً عن الراوي المشارك المتمثلبالبطلة (إكرام)، ومن ذلك قولها: " بعد بعض الوقت أطل احدهم، قال لها إن اسمه عدنان هايس، وإنه صديق أخيها عندما كانا طالبين في الإعدادية، ثم اردف " سوف أتعاون معك إذا ما تعاونتِ معنا بشكل جيد". مد يده وابتسامة كريهة تطل من وجهه ليلتقط الورقة التي كتبت عليها إفادتها، لكنه عاد ورماها في وجهها غاضباً، فقد أزعجه أن ما قدمته من اعترافات لا يتجاوز بضعة اسطر. ثم ضحك ضحكة

صفراء وهو يردد مقطع من أغنية لأم كلثوم " أنت فين والحب فين" ثم واصل حديثه: أتعتقدين أن هذه إفادة؟ أنتم الشيوعيون لا يفيد معكم حسن التعامل، ثم واصل حديثه:
ـــ نحن البعثيون سنطاردكم وسنقضي عليكم جميعا طال الزمن أم قصر، وسيتعجب العالم كيف اننا بلمح البصر قضينا على الشيوعية في قطرنا العربي. وسوف تحذو جميع الدول العربية حذونا بعد وصول البعث الصامد للسلطة في جميع تلك الأقطار"[٢٠]، يظهر في هذا النص صوت الراوي الخارجي، وقد حمل هذا النص اكثر من معنى، فقد حمل معنى القهر المعنوي، إذ كانت تلك القوة المزيفة تحاول ان تصل إلى هدفها من خلال تحطيم النفس، كما بيّنت كيف كانوا يوهمون المعتقلين بأكاذيب حتى يحصلوا على اعترافات منهم، ويعرض لنا النص الطرق المستخدمة في الحصول على الاعترافات من خوف وترهيب، وكيف كان النظام الحاكم ورجاله يطمحون إلى محو كل ما هو مختلف عنهم والسيطرة على كل شيء في البلاد، واستطاعت إكرام ان تنقل لنا تجربتها وتجارب غيرها من الماضي للناشئة كي يتعرفوا على الصورة التي كانت السُلطة عليها، وتقدم صورة للنضال ورجاله في تلك المراحل.
ومثال الراوي الخارجي أيضاً، قولها:" في الساعة الحادية عشر صباحاً من ذلك اليوم الدامي، كانت فتاة مراهقة تهيم على وجهها في منطقة الصالحية القريبة من مبنى الإذاعة والتلفزيون، لم تكن لها وجهة محددة بعد أن ضاقت الدنيا بجسدها الصغير الذي لفته بعباءة سوداء، جادت بها عليها إحدى عوائل محلة الكريمات "[٢١]، حيث صورت لنا هنا صورة الشخصية الضعيفة، المظلومة، وهي تظهر القوة ولكن تبطن القهر، وكأنما شعرت بأنها دمية مسيرة لا مخيرة، وكيف تضيق الدنيا بكل وسعها بجسد صغير من المفترض ان يجد له مكاناً في هذه الدنيا الواسعة، إلا أنها على الرغم من هذا لا تجده.
ولم تقتصر هذه السيرة على الراوي المشارك، والراوي الخارجي، فقد ظهر وجود الراوي العليم، مثال ذلك قولها " كانوا يمارسون مع النساء المعتقلات مختلف أساليب التعذيب التي يصعب احتمالها على اصلب الرجال إضافة إلى التحرشات ... بالغ احدهم في تصرفاته الحقيرة مع احدى المعتقلات المتورمة الجسد بسبب التعذيب المتواصل لها والتي لا تزال جراحها تنزف"[٢٢]. إنّ استعمال اساليب تعذيب مع النساء ماهي إلا محاولة منهم لتحطيم النفس، وجعلها تصل إلى اقصى مراحل الالم التي يصعب على النفس تحملها، فالنص يقدم لنا صورة عن بشاعة ما كان يُمارس ضد النساء المعتقلات في السجون، فلم يشفع لها كونها امرأة لا تقوى على الألم، بل زادها هذا بشاعة في تعذيب الجسد وانتهاك خصوصيته، وصف لجروح لا يمكن أن تلتئم، فجرح الجسد ممكن أن يشفى لكن كيف بجرح النفس الذي يبقى نازفاً لا يلتئم، فالأثر النفسي أقوى من الأوجاع الجسدية، وتقول في موضع آخر " كانت تلك الشابة محط انظار الكثيرين لما تملكه من جمال ساحر وذكاء حاد. كانت فتاة متميزة في كل شيء وفوق ذلك فهي طالبة في الصف المنتهي لكلية الطب. كانت عاشقة للعلم والأفكار الثورية حالمة مثل آلاف الشيوعيين والشيوعيات ان الاشتراكية هي الطريق الامثل لتحقيق الحرية وتوفير السعادة للشعب"[٢٣]، قدم النص صورة عن النظرة التي كانت موجودة للفتاة في تلك المرحلة، فضلا عن تقديمه فكرة انتماء عدد من الشباب والشابات للحزب الشيوعي والتأكيد على إيمان عدد كبير من الشريحة الشبابية بأفكار هذا الحزب، كما قدم الفكرة الأهم، وهي المساواة بين الرجل والمرأة في الانتماء والنضال والأفكار الثورية من اجل البلد، أضف إلى ذلك بيّن النص كيف يكون الانتماء الحزبي والجمال والفكر لعنة على الإنسان، تحول حياته إلى جحيم، لقد كانت إكرام راوياً وشاهداً على الأحداث ومشاركاً في خلقها[٢٤].
ونجد في سيرة نجاة نايف أن الكاتب هو نفسه الراوي في السيرة، إذ هو الروائي والراوي في الوقت نفسه، لذلك يلاحظ أن صوت الكاتب يطغى في عموم السيرة، إذ إن الراوي يحيط" بكل شيء علماً، الباطن والظاهر، ويُقدم مادته من دون إشارة إلى مصدر معلوماته"[٢٥]، فهو على علم بالأحداث والوقائع وكل ما يدور من حوله، فهنا اكتسب صفة الراوي العليم.
يتجه السرد في النص السيري بتصاعد الأحداث، حيث بدأت بالحديث عن الطفولة، واستمر الحدث بالتصاعد، ولابد من الإشارة إلى أن صوت الكاتب بدا قوياً في هذه السيرة [٢٦]، ومن ذلك قولها " آه لو عاد بي العمر من جديد لمشيت فوقك وسحقتك كأوراق شجرة يابسة في غابة جرداء. كيف استطعت أن تسحقيني حتى العدم، وكيف استعبدتني منذ عرفتك حتى تخيلتك تملكينني وانك قد خلقت فيّ، و الآن بعد أن عرفت انك لست اكثر من حروف جوفاء خاوية كم اكرهها أيتها الكلمة "[٢٧]، قدم النص إشارة أرادت الكاتبة ان توجه كلامها لذاتها الضعيفة التي عانت في الماضي، أو قد يكون الكلام موجهاً للأيام التي شهدت عذاباتها أو لحظات الضعف التي انتابتها أو قد يكون موجهاً لكل من تسبب لها بالألم، وربما تكون إشارة للسياسة والحزب القائم في تلك المرحلة، إذ بعد أن كُشفت الأقنعة وعُرفت حقيقة الأمور وما تسبب به هذا الحزب والنظام، تمنت لو عادت بها الأيام لتسحق كل شيء يمتُ لهذا الحزب بصلة، حيث بدأ صوت الكاتبة واضحاً في هذه السيرة، فقد كان الروائي عين كاميرا تشاهد وتروي، لذلك نجد أن صوت الكاتب هو الذي يهيمن.
ومن ذلك قولها: " دائماً أعود من عملي محبطة، لأغرق في أجواء الأسرة، وقد انشغل بمشاكل أهلي لبقية اليوم، كنت اذهب إلى رياض بعيدة وليس فيها غير صفين وعشرين طفلا فقط. وقد لا ابقى إلا ساعة واحدة فقط، ويكون السائق دائما في انتظاري "[٢٨]. نلحظ ثمة إشارة في النص إلى قلة عدد الأطفال الملتحقين بالدراسة، واقتصار التعليم على بعضهم دلالة على سوء الوضع الثقافي والتوعوي قديماً، فضلاً عن إشارة للروتين المستمر في حياة الفتاة في تلك المرحلة، كما اتضح في النص السابق ان ظهور الروائي يبدو واضحاً للمتلقي، إذ إن من يتكلم داخل السرد هو نفسه من يتكلم في الحياة، بمعنى آخر أن الشخصية هي نفسها الراوي والروائي في هذه السيرة.

ومن الجدير بالذكر ان هذه السيرة لم تقتصر على الراوي المشارك، فهناك راوٍ خارجي، ولكن حضوره لم يكن لافتاً للنظر كحضور الراوي المشارك.
ويتضح الراوي الخارجي من خلال قولها :" اهتز شيء في الدار الصغيرة ، شيء لا يعرفه الصغار ولكنهم يشعرون به، غياب ربّ الأسرة في أماكن بعيدة، كان يجعل لحضوره ضجيجاً محبباً لنا نحن الصغار كأنه العيد،...، وعندما كان يوجد في الدار فإلى جانبه الكتب التراثية، ويحدث أخواتي بسعادة عن حياته في الجيش، وكيف أنه تعلم النظام والصبر والإخلاص، ويقول إنه بحق مصنع الرجال"[٢٩]. في النص ورد السارد خارجي، فضلاً عن أنه تضمنثيمة فقدان الأب، حيث قدمت لنا صورة حول أهمية وجود الأب في الأسرة، وكيف أن وجوده يمنح البيت جواً من الدفء والألفة، وهو عيد للأطفال، إذ دوماً ما تكون صورة الأب كالأبطال في الحكاياتلهم، وأوضحت أن الأب كان مصدر الحكايات الجميلة في البيت والمعلومات المثيرة للأبناء.
ومثال الراوي الخارجي قولها أيضاً: " مجد لا زالت تعاني من تعسف في التنقلات وقد ذهبت لرؤية وزير التربية (الجواري) تريد الاعتراض على احد التنقلات وتقول: إنه قال لها بصوت خافت: رفيقة انه حكم عسكري كما ترين ولا يمكن أن نفعل شيئا"[٣٠]، في النص إشارة للوضع السياسي في تلك المرحلة، وكيف كانت السياسة وسلطة الحزب مسلطة على حياة الناس المجتمعية، وكيف كان رجال الحزب وأحكامهم متحكمة بحياة الناس ومصائرهم، فضلاً عن قمع حريات الناس وعدم السماح لهم بالاعتراض، وهناتأكيد آخر على تعسف النظام وعدم قبوله برأي مختلف، وكيف أن الانتماء الحزبي المخالف في تلك المرحلة مشكلة بحد ذاته ويجلب للإنسان الكثير من المشكلات.
صحيح ان هذه السيرة قد احتملت على اكثر من راوٍ إلا أن حضور الراوي المشارك هو الذي يهيمن على السيرة .
ونجد في سيرة ماري تيريز اسمر، أن الكاتب هو نفسه الراوي في النص السيري، إذ إن الشخصية هي الراوي الرئيس. يسير السرد في هذه السيرة عن طريق الراوي المشارك، إذ تقول: " انحدرُ من عائلة من الشرق، تعودُ أصولها إلى البراهما، الذين اعتنقوا المسيحية من زمن بعيد على نهج كنيسة ترافنكور التي أسسها توما رسول سيدنا المسيح في الهند. وبحسب التقاليد العائلية، رحل أجدادي منذ قرون مَضتْ عن ترافنكور إلى بلاد فارس، واستقروا أخيراً في بغداد" [٣١].أشارت الكاتبة في النص إلى أصولها وديانتها وانتهت إلى أنهم استقروا في بغداد على الرغم من انهم لا ينتمون لها من حيث الأصول، وهنا إشارة للتعدد الديني والاثني الموجود في النسيج المجتمعي في بغداد خاصة والعراق عامة، فمنذُ القدم كانت بغداد مجتمعاً يضم أطيافاً متنوعة، وفي النص إشارة للتمسك بالأصول والديانة، ويبدو من خلال هذا النص أن السرد قد ابتدأ براوٍ مشارك، ثم انتقل إلى راوٍ خارجي، ففلسفة الراوي هنا تتجلى في أنه يدرك ما يدور ويعرف عاداتهم وتقاليدهم التي يتمسكون بها.
ومثال الراوي المشارك قولها: أيضاً " أتذكر عندما كنتُ في حوالي الثامنة من العمر كنتُ ألعب لعبة الختيلة مع احد أخوتي، كنت حينها سريعة ومتيقظة، مثل القطط، وبعد مرور ساعة من اللعب في البستان استهوتني فكرة تسلق نخلة والاختفاء بين سُعَفِها. كانت النخلة مجاورة لدار الجار المسلم. هنا فوق النخلة سحرتني فكرة الاختفاء عن أخي وبحثه اللامجدي في أرجاء البستان الواسعة"[٣٢]، في النص ذكر لأيام الماضي البسيطة للحياة النقية التي كان الناس فيها يعيشون بهدوء وصفاء بين إحضان العائلة وكانت العلاقات بعيدة عن كل نوع من البغض والعداء، وهذا تأكيد آخر للتنوع بين أطياف الشعب، وللألفة والسلام اللذين كانا يسودان الحياة في الماضي، ومن ثّم أشارت إلى اختفائها وبحث أخيها اللامجدي، والبحث عن براءة الطفولة التي فقدها الجميع حتى من هم في مراحلها.
لم تقتصر هذه السيرة على وجود الراوي المشارك، فقد ظهر في النص السيري وجود الراوي الخارجي، مثال ذلك قولها:" حكت لنا مريم كيف عاملها العرب بكثير من الإجلال والاحترام ما خفف عنها هول اختطافها. كان الرئيس حميمياً في نواياه وفي حبّه لها، ولمْ يُصبها بأيّ أذى ولم يلجأ إلى التهديد من أجل إرهابها للموافقة على البقاء معه. لم تتوانَ مريم عن القول إنها كانت ممتنة له لكرم تصرفه خلال تلك الفترة" [٣٣]، ثمة إشارة لاختلاف الأديان والأصول في النص، وان كانت مريم قد أشادت بالعرب عامة وبالعربي الذي اختطفها من حيث المعاملة والتصرف خاصة، إلا أننا نلمح إشارة للفعل العربي القديم المتمثل بقطع الطرق والخطف والسلب، في النص تناقض يكمن في فعل الخطف وحسن المعاملة النابعة عن المحبة، وهي صفة أعطاها النص للعربي الذي خطف مريم محبة بها، وحبه منعه من معاملتها بطريقة سيئة.
ومثال الراوي الخارجي قولها:" ولكن الأيام السعيدة هذه قد انتهت، إذ وصل إلى سمع الباشا أن والدي قد عثر على كنز ثمين في انقاض نينوى، وانه بثرائه يحاول التأثير في رعايا الدولة العثمانية لتحويلهم عن الإسلام، وهكذا فقد والدي ثروته ومصانعه، التي كدّ في الحصول عليها، وفقد الناس الذين يستخدمهم مورد رزقهم وفقد ضيوفه كرمه"[٣٤]، في النص رصدت الكاتبة تأثير الفعل السياسي على الحياة الاجتماعية ،الفعل الذي كان متواجداً قديماً ومازال، وكيف لا يمكن الثراء والعيش السعيد إلا للحاكم ومن يرضى عنهم، كما بيّنت كيف صادر الحاكم آنذاك أموال والدها وحول سعادة والدهم إلى عذاب، وهذا موجود في كل النظم التي حكمت البلد، فضلاً عن طرق المعاملة مع الشعب وكيف تقمع كل الأصوات والإمكانات التي في نظرهم تهدد النظام، وقد يكون في النص إشارة للفوضى التي كانت في تلك المرحلة.إنّ الراوي لم يدع شيئاً يفوته، كل شيء على علم بـه حتى مـــا يحصل خـــلف الجـــدران، وهذا دليل على وجود الراوي العليم في النص السيري؛ تقول " كانت الأميرة تغص بالضحك لهذا التطور غير المتوقع، مما جعلها لا تستطيع أن تنطق بكلمة. أمسك الحارس برقبتي بيده الحديدية وكنت على وشك الاختناق، ولم أستطع أن أتفوه بجملة. وبعد أن تحول الأمر إلى وضع خطير وجاد أخذ الحارس يلوّح بسيفه في الهواء، وعاد للأميرة نطقها وشرحَتْ له الأمر ثم طلبت منه الانصراف، أما النساء فبعدَ

أن صحوْنَ من الصدمة والخوف ضَحكنَ من صميم قلوبهنّ، ولكنني لَمْ أجد ما يضحك"[٣٥]. حيث إنها وصفت اللحظات التي عاشتها وقدمت صورة عن النساء اللاتي كن في أمرة الملك أو الحاكم؛ وكيف كان حال المرأة في تلك المرحلة ودورها،لقد كان الراوي عيناً ناقلة للحدث وناقلة للمشاعر والأحاسيس.

في حين نجد في سيرة ميادة، إن السارد (الراوي) لا يتطابق مع الشخصية؛ فالسارد هي الكاتبة (جين ساسون) والشخصية (ميادة) هي محور الحديث، ومن هذانفهم أن الراوي (الكاتبة) هي راوٍ عليم.

يتضح الراوي العليم في هذه السيرة عن طريق قولها:" الساعة الثامنة وخمس وأربعون دقيقة يوم الاثنين التاسع عشر من تموز/ يوليو ١٩٩٩، تقود ميادة سيارتها باتجاه شارع المتنبي المتفرع من شارع الرشيد في بغداد، حيث مكتبها وسط تلك المكتبات التي دونت تاريخ بلد عريق طالما تأملت وثائق خطيرة عنه في ثنايا بيت جدها"[٣٦] في النص إشارة لدور المرأة الثقافي اذا كانت لا تقل عن الرجال في السعي وراء العلم والمعرفة، ولم يمنعها من كونها امرأة أن يكون لها مكانها الخاص بين أمكنة الرجال في شارع المتنبي، فضلاً عن امتلاكها وعياً بتاريخ البلد الذي كان مصدره وثائق قديمة في بيت الجد.

ومثال الراوي العليم أيضا، قولها :" فقدت تواً أي حدود للتردد، فراحت تتوسل إلى مقدم الأمن لكي يسمح لها بمكالمة هاتفية واحدة لإعلام طفليها بالمكان الذي ستؤخذ إليه"[٣٧]، في النص صورة عن فعل النظام في الاعتقالات والظلم الذي لم يستثنِ أحداً، لا امرأة ولا رجلاً ، إشارة إلى أن للمرأة نصيب من الاعتقالات والإهانات، والذل المتبع من قبل رجال النظام للمعتقلين، وتوضح كيف أنها تنازلت عن كرامتها ليسمح لها باتصال هاتفي لأبنائها، أن ما قامت به ميادة من فعل بإزاء رغبتها في اطلاع ولديها على مكانها دليل واضح على معرفتها بنهايتها المأساوية، وان هذه المعرفة تكونت لديها من خلال ما دار من فعل في مكتبها، كمايبيّن النص كم الحرب النفسية التي يعيشها المعتقلون للدرجة التي تجعلهم يتنازلون عن الكثير من أجل الحصول على بعض الرحمة والرفق في التعامل.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه السيرة تدرج ضمنإطار سيرة ذاتية غيرية[٣٨]، ومن المعروف أن السارد في السيرة الذاتية الغيرية ينقل أحداث ووقائع عن شخصية ما، فأنه يكتب عنها من دون تدخل منه ولا تعاطف فلا تشترك الأحاسيس والعواطف في التأثير عليه، وهذا يجعل الكتابة موضوعية وحيادية، إذ لابد من أن يكون كاتب السيرة الذاتية ناقلاً موضوعياً للأحداث والقصص، ولكن ما وجدته في هذه السيرة عكس ذلك تماماً، إذ وجدت أن الكاتبة عندما تحدثت عن ميادة وعن محنتها، وكأنها كانت شريكتها في تلك المحنة التي لم تستمر اكثر من شهر، حيث روت لنا أدق التفاصيل وكأنها سيرة ذاتية وليست غيرية.

فضلاً عن ذلك يظهر وجود الراوي الخارجي في النص السيريتقول :" تكلمت المرأة الجميلة ثانية وكأنها تؤكد ذاتها:

- اسمي سمارة.
- تساءلت:
- لماذا أنت هنا ؟؟

اقترب عدد النسوة الأخريات لسماعها، وكانت التعابير على وجوههن تنم عن القلق والاهتمام بها.

نظرت ميادة إلى وجوههن وراحت تشاركهن في التفسير الرسمي لتوقيفها:

- قال لي الرجل ذو الشعر الأبيض، أن مطبعتي طبعت شيئاً ما ضد الحكومة ،إلا أن ذلك غير صحيح فلم أطبع يوما أي شيء ضد الحكومة"[٣٩].

نلحظ في النص إشارة لفعل النظام السابق ورجاله في كيفية تلفيق التهم للمعتقلين وزجهم في السجون ظلماً، وهذه طريقتهم مع كل من يختلف معهم سواء برأي أم انتماء أم فكر، فقد كان النظام يصادر الحريات ويقمع كل صوت يحاول ان يظهر ليكون هو الصوت الوحيد، أضف إلى ذلك أن النص أوضح أن هناك كثيراً من النساء تشاركن الألم والمعاناة معاً داخل أقبية السجون، وكانت آلامهم هوية مشتركة جمعتهم لتكون بينهم علاقات تُخفف عنهم وحدة السجن وضيقه. ويتضح الراوي الخارجي في قولها :" أن ضيفتنا المبجلة تريد قرطين ... وسنعطيها ذلك، جُلست كالحمقاء مبتسمة لكن سرعان ما غابت الابتسامة عني حين أمر المحقق مساعديه ليبدأوا بربطي وصاروا يشدون وثاقي إلى الكرسي الذي جلست عليه. تخيلي الرعب الذي دهمني حالما وضعوا قطبي بطارية على كلتا أذني.. وقبل أن أتمكن من المقاومة والاعتراض راح المحقق المهذب!!! يفتح تيار الكهرباء ويغلقه"[٤٠]، نلمس من النص صورة لبشاعة التعذيب المتبعة ضد المعتقلات، التي لم يشفع لهن كونهن نساء، فليس ثمة فرق بين الرجال والنساء في الاعتقال والتعذيب والأذلال، وصف يبيّن كيف كان رجال النظام يتفننون في طرق التعذيب ويبتكرون ابشعها، لتصل السجينة إلى حافة الهاوية وتسقط مقدمة اعترافات لا صحة لها، بعيدة عن الواقع، هي هذيانات التعذيب وألمه. إن الراوي يمتلك رؤية خارجية للنص، فقد قدم لنا صورة عن الواقع الذي كان سائداً في تلك المدة، فالراوي هنا حاضر يرى عالم القص من خارجه[٤١].

يؤدي الوصف دوراً بارزاً في سيرة ميادة، معتمداً في ذلك على التخييل مرة وعلى معطيات الواقع مرة أخرى، إذ إنها تجعل من القارئ واقعاً بين الراوي الحقيقي والراوي الضمني[٤٢].

إنّ ظهور معرفة الراوي بأحاسيس شخوصه في النص الأدبي هو دليل على أن الراوي، راوٍ عليم تقول:" ها هي الآن تواجه بدفعة أولى من العنف النفسي، وتكاد تعلم علم اليقين أي نوع من الأذى ستمر به في تالي الأيام أو اللحظات! في عتمة هذا المقر المرعب لجهاز الأمن العام التابع لنظام صدام تمنت ميادة لو أن والدها يقف إلى جوارها الآن... إذ لم تشعر بمثل هذه الوحدة والعزلة طوال سني حياتها"[٤٣]. ثمة إشارة في هذا النص لعذاب آخر عانت منه المعتقلات، وهو العذاب

النفسي، فضلاً عن العذاب الجسدي، وأيضًا إشارة للألم النفسي والخوف الذي تعاني منه السجينة، فالسجن ألم وعزلة ووحدة تفتت النفس والروح في صمت؛ وأمنية ميادة بوجود الأب إلى جانبها هو دليل على فقدان الأمان في داخل روحها، فوجود الأب بالنسبة للفتاة، هو مصدر الأمان الذي يمنحها القوة، وكأنها تريد القول إني في هذا المكان بعيدة عن كل ما يمكن أن يمدها بالقوة لتصمد أمام ما سيأتي، وقد تحدثت الكاتبة عن المشاعر الكامنة في داخل ميادة وكأنها عاشت أو كانت مرافقة لها في تلك الأحداث، وهذا دليل على أن الساردعليم هنا، وكأنها " رؤية من الخارج والداخل في آن، انه منفصل عن الأحداث ومتصل بها"[٤٤].

وتقول في موضع آخر:" غرقت ميادة في صمت مثل حبر الأحزان، وغاصت في فراغ سديمي، وكأنها فقدت الوزن أو العافية، ما دامت تفتقد أيما ميزان عدل أو أنصاف أو رحمة"[٤٥]. تغرق ميادة في صمت رهيب من الحزن يفتت روحها، تغوص في فراغ وألم وتفق كل ما يمكن أن يجعلها متوازنة قادرة على التحمل، بسبب معرفتها أنها تواجه أناساً لا رحمة لديهم ولا عدل ولا انصاف في التعامل.

وفضلاً عن وجود صوت الكاتبة (جين)، ظهرت أصوت أخرى؛ وهي أصوات الشخصيات(المعتقلات) في سجن البلديات، حيث لعبت الشخصية الرئيسة (ميادة) دور الراوي في بعض المقاطع ونقلت لناآلامهم ومعاناتهم،واطلقت عليهن (نساء الظل).

إن الكاتبة كانت على علم بكل شيء حتى الأفكار الخاصة بالشخصيات، إذ يتدخل بالتعليق أو الوصف الخارجي، والوصف الداخلي من خلال التأمل والاحتكاك، وهو الذي يحرك الأشياء وفي يديه الخيوط، وهو اكثر وعياً من الأخرين[٤٦].

إن "جين" استطاعت " أن تدخل الأجواء المرعبة التي نُقلت إليها وان تتفاعل مع جميع الشخوص والأحداث وأن تكتب عنها بحس إنساني أصيل يعطي الانطباع ولعله يوهم القارئ بأن الكاتبة كانت جزءاً من تلك الأحداث، أو ربما احد الضحايا وهم كثر"[٤٧].

في حين نجد في سيرة (وريثة العروش) أن صوت الشخصية بدا مهيمناً في عموم السيرة، وهذا الشيء لا يتضح مع سيرة (ميادة ابنة العراق)، إذ على الرغم من أن السيرتين قد نقلت للقارئ عن طريق صوت آخر، وهو صوت الروائي، إلا أن صوت الروائي في سيرة (وريثة العروش) قد سمح للشخصية بالظهور، وكانت هي الراوي، في حين لم نلاحظ هذا الشيء في سيرة ميادة، إذ كان صوت الكاتبة هو المهيمن على عموم السيرة. إنّ سيرة (وريثة العروش) قد رويت عن طريق راوٍ آخر، لكن كان صوت الشخصية إلا أن صوت الراوي (الشخصية) كان طاغياً في عموم السيرة، ومن ذلك يتضح صوت الراوي المشارك المتمثل بشخصية (بديعة) من خلال قولها:" لهذا فاني أقلعت اليوم عن هذا التقليد، بحيث لا ابقي أحدا من (السفرجية) أو الخدم،واقفاً عند رأسي أثناء تناولي الطعام، كي لا احس بالاختناق، بينما هم في الحقيقة يعرفون كل ما يجري في داخل البيت"(٤٨)، قدم النص صورة عن حياة الكاتبة؛ فضلاً عن ذكر عادات وتقاليد كانت متبعة سابقاً ثم أقلعت عنها، فمن التقاليد المتبعة في حياة أهلها، أن الخدم يقفون عند مائدة الطعام حتى الانتهاء من الطعام، لكنها رفضت هذا التقليد وصممت على تغيره، وقد تكون إشارة للانتفاض على العادات والتقاليد التي كانت تمثل قيداً يقيد حياتها.

وأيضاً قولها:" هذا الموقف السامي لأبي، يدفعني إلى أن أقول: لو كان اليوم لبعض الحكام العرب ذرة من شرف، أو وازع من ضمير، لتنازلوا عن حكمهم اللاشرعي أصلاً، ولرحموا شعوبهم بدلاً من أذاقتهم حصاراً مزدوجاً رهيبًا يمارسونه عليهم هم أنفسهم، بالتباطؤ مع المجتمع الدولي.. ولكن أين رؤساء اليوم من ملوك الأمس ؟! "[٤٩]،قدم النص وصفاً للأب ومحاسن الملك وعهده، وإشارة لسوء الحكام العرب في الوقت الحالي، والفرق بين الماضي وعهده والحاضر وحكمه، فضلاً عن الإشارة لدور الحكام في اضطهاد شعوبهم والوصول بهم لمراحل العذاب وسوء العيش وكيف يؤدون دوراً مزدوجاً، حكاماً وعملاء في الوقت نفسه، واصفة كيف هو ضمير حكام العهد الحديث، وبأنهم لا شرف لديهم وأن حكمهم لا شرعي من الأساس، ولو أنهم كانوا يملكون ضميراً لتنازلوا عن مناصبهم، وأن صوت الراوي في هذا النص بدا واضحاً وكأن الراوي هو من كان يتحدث عن نفسه وليس من خلال راوٍ آخر، إذ إن صوت الروائي (الكاتب) لم يظهر ظهوراً مباشراً في النص[٥٠]، وهذا الأمر يجب ان يكون في الأغلب مع السيرة الذاتية التي يتطابق فيها الراوي مع الشخصية.

يظهر الراوي الخارجي في هذه السيرة من خلال قولها" بقيتُ في حيرة فعلية لا أدري ما أفعل، إلى أن حزمتُ أمري واستجمعتُ قواي، وذهبت إلى أخي الأمير عبد الاله، وسألته :" سيدي .. باسم من اسجل البيت، باسمي أم باسم زوجي؟! رد : بديعة أنا أعطيتك الأرض هدية، وأنت حرة في التصرف فيها، وما تريدينه افعليه" سكتُّ ونقلتُ البيت إلى زوجي الشريف حسين بهدوء"[٥١]، أوضح النص عن كيفية التعامل في الأسرة الحاكمة، وكيف يسود الاحترام والإجلال لمن هو أكبر، ويبيّن رقي التصرف في العائلة المالكة.

وأيضا يتضح في قولها:" غير أن أخي فاجئنا بخبر غريب لم نكن نتوقعه. قبّل أختي عالية وقال لها: "مبروك" فردَّت : " مبروك على ماذا"؟ أجاب، أن أبي وعمي الملك عبد الله، اتفقا على أن تتزوجي ابن عمي غازي".. صعقت عالية لهذا الخبر، حيث لم يدرُ في بالها يوماً بأنها ستتزوج غازياً "[٥٢]، قدم النص وصفاً عن الحياة الملكية، فضلاً عن أنه قدم صورة عن وضع النساء سابقاً وكيف يتحكم الأهل بمصير المرأة، ولا يُسمح لها بتقرير مصيرها أو حتى أخذ رأيها في قرار مصيري مثل قرار الزواج، فالأمر والقرار بيد الأب والأخ ولا رأي للفتاة، وقد بدا صوت الراوي الخارجي واضحاً في هذا النص. فضلاً عن وجود الراوي المشارك والراوي الخارجي في هذه السيرة، ويظهر أيضاً وجود الراوي العليم، المطلع على كل شيء حتى ما كان سراً وغير معلن، بدليل قولها في بداية السيرة " لم اقل في الكتاب كل ما عندي، ولكن ما في الكتاب هو معظم ما قلته، وبعضه في صدري، أو في صدر كاتبه، وربما لا تسمح الظروف لكشفه

الآن"[٥٣]، أي أنها لم تقل كل ما لديها وما تعرفه من أمور، لكنها صرحت بكل ما أرادت قوله، وهي محتفظة بالكثير في نفسها الذي برأيها لم يحن الوقت لكشفه، ويبدو أن الكاتب في هذه السيرة اكتفى بتقديم الصور والمشاهد من دون أن يعلن عن وجوده بصورة صريحة.

في حين نجد عكس ذلك إذا ما انتقلنا إلى سيرة (نازك الملائكة)، فقد ظهر صوت الكاتبة منذ بداية السيرة؛ منذ قولها:" اتصفت نازك بهدوئها ووداعتها، ولم تكن تزعج والديها بالبكاء، وظل الهدوء صفة ملازمة لها عندما كبرت، ولم تكن تميل إلى الصخب والضجيج، وشعرت بدلال خصوصي في عائلتها، حتى بعد ولادة أخيها نزار أو أختها الصغرى سها، فقد ظلت لها مكانتها المتميزة في الأسرة "[٥٤]، قدم هذا النص وصفاً لحياة نازك، ومواصفاتها الشخصية واهتمام عائلتها بها حتى بعد ولادة الأخ والأخت، وكيف أنها كانت تنعم بحياة هادئة بعيدة عن أي نوع من الضجيج، وأن صوت الكاتبة قد شكل حضوراً واضحاً في السيرة، فهي من قامت بدور التنظيم الداخلي لإحداث السيرة بعد أن جمعت معلومات عن الشخصية.

إنّ حضور صوت الكاتبة بشكل واضح في هذه السيرة لا يعني انعدام وجود صوت الشخصية، نازك، فنراها تقول:" وطالما سمعتُ أمي في طفولتي تغني وهي تؤدي أعمال المنزل بشعر جميل بثينة وكثير عزة وقيس بن الملوح والشريف الرضي وأبي فراس الحمداني وابن الفارض والبهاء زهير وسواهم، وكنت أرى أبي وأمي ينصرفان إلى القراءة كل مساء، بينما ننصرف أنا وأختاي إحسان وسعاد إلى اللعب قريباً منهما"[٥٥]، في هذا النص إشارة لحياة نازك الطفولية، حيث الأثر الكبير في نشأتها وحبها للشعر والقراءة، فمنذ الصغر وهي تسمع الأشعار المختلفة من والدتها وترى والدها يقرأ دائماً، إن النص يوضح بأن الشخصية نفسها هي التي قامت بسرد للأحداث.

ومثال ذلك أيضا قولها:" اذكر أننا كنا نعيش في منزل شاهق عتيق، يقوم في ناحية من بغداد القديمة، وقد انحدر إلينا من الآباء والأجداد، وهو أمر كنا نحسه حتى في طفولتنا، فقد كان القدم يخلق في البيت جواً من الرهبة الغامضة والعظمة الصامتة التي تركت في حياتنا حتى اليوم آثاراً شديدة العمق"[٥٦]، في هذا النص أوصاف للبيت، وللأثر الذي تركه في حياة نازك، إذ كانت تعيش في منزل قديم وقدمه أعطاه طابع الغموض والعظمة والرهبة، وهذا ما اثر فيهم حتى في كبرهم.

وفي موضع آخر من السيرة سمح الراوي لشخصية أخرى ان تتحدث عن حياة نازك، وهذه الشخصية تتمثل ب (إحسان) فكانت هي راوٍ خارجي، تقول :"... وقد التزم الوالد أبو نزار بتزويد أفراد أسرته بثقافة أدبية عصرية جادة،...، وبالطبع فقد كانت الأسرة على أتصال يومي بالصحف العراقية على اختلاف أنواعها. أما عن الكتب فإن الأستاذ صادق كان معتاداً على اقتناء أحدثها وأفضلها، وعنه أخذ أبناؤه نزار ونازك وإحسان خصلة عشق الكتاب وتقويمه كأثمن كنوز الدنيا جميعا"[٥٧]، يشير النص إلى عائلة نازك الثقافية، حيث الأسرة التي اهتمت بالثقافة بكل أنواعها، وهذا ما اثر بنازك، فقد قدم الأب ثقافة عالية لأسرته، وذلك من خلال الاطلاع المستمر على الصحف وقراءة الكتب الجيدة والحديثة، وهذا كان من شأنه أن يزرع في الأسرة حب المعرفة والتثقف والإطلاع، وقد ورد هذا النص على لسان الراوي (إحسان).

ومثال الراوي الخارجي قولها أيضاً:" وذات يوم فريد في حياة نازك أطلعت أباها على قصيدة نظمتها، وكان يشجعها على قرض الشعر، ووضع الأناشيد والأغاني، غير انه دهش هذه المرة من مقدرة ابنته ذات الثلاثة عشر ربيعاً والتي مازالت في الصف الأول المتوسط من نظم قصيدة بهذا المستوى، فقال لها: وقد تمتلكه الدهشة والفرحة والحيرة :

- نازك لا يمكن ان تكوني أنت التي نظمتها!
- لقد نظمتها أنا نفسي.

وجه لها عندئذ بضعة أسئلة جعلته يتأكد أن القصيدة من نظمها حقاً، وما إن اطمأن إلى ذلك حتى أخذها منها وأرسلها إلى مجلة (الصبح)، وكانت أول قصيدة تنشر لها"[٥٨]، هنا نجد إشارة لبدايات نازك ولتأثير الوالد على حياتها، وكيف كانت منذ صغرها مبدعة في نظم القصائد، وللوالد اثر ودور في بدايات نازك وانتشار قصائدها ومعرفة الناس بها، إذ دوماً ما كان يسعى لحثها على وضع الأناشيد والأغاني، وتعجب من قدرة نازك التي نمت وتحسنت بدرجة كبيرة لم يتوقعها.

أصبح حضور الروائي في عموم السيرة دليلاً واضحاً في أن الروائي راوٍ عليم، فهو على اطلاع تام على أدق التفاصيل التي تخص الشخصية، إذ إن الدكتورة حياة شرارة، كانت على اطلاع تّام على كل شيء يخص نازك حتى أحاسيسها ومعاناتها وآلامها،ودليل ذلك قولها: " عادت نازك إلى العراق بعد أن دفنت أمها ووصلت بغداد على متن طائرة في يوم جمعة ٣ تموز / يوليو، واستغرقت هذه الرحلة المشؤومة أسبوعين، لقيت نازك فيها من العنت والحزن والتعب ما لم تره في حياتها قط، بدت كالمريضة و لاح انها تعيش أزمة نفسية عميقة"[٥٩]، يشير النص إلى اثر وفاة الأم على نازك، إذ إنها عانت من أزمة نفسية أثرت على حياتها بالحزن والتعب والمرض، وأن وصف الكاتبة الشكل العام والخاص للشخصية المحورية دليل واضح على معرفتها الكاملة بالأحداث والوقائع التي مرت بالشخصية على الرغم من وجود صوت الشخصية إلا أن حضور صوت الروائي " الكاتب" يطغى اكثر من صوت سارد الشخصية.

أما في سيرة (هروب الموناليزا)، فأن الراوي هنا متعدد ، إذ نجد الذات الراوية الرئيسة وهي الكاتبة، والذات المروية على لسان الكاتبة، ولكل ذات رؤيتها ومنظورها الخاص[٦٠].

إنّ أحداث ووقائع هذه السيرة تُقدم بوساطة نفس مدركة، رأت هذه الأشياء واستقبلتها بحسب رؤيتها الفكرية أو النفسية، وقدمتها بمنطلقها التعبيري الذي اختارته الكاتبة لسيرتها [٦١]، إذ تقول:" إليكم أوتارنا التي فاق عددها الحدّ، أنا أو هي أو هن. كلنا نمتزج ببعضنا في بوح قد يتعبكم حينما لا تعرفون من تتكلم عن ذاتها ومن تتكلم عن الأخرين"[٦٢]، في النص إشارة لعدد من المتحدثين أو الرواة، قد يكون المتحدث الذات الكاتبة، وقد يكون المتحدث عنها هي ذات أخرى أو مجموعة ذوات اشتركن في الالم نفسه والبوح نفسه.

وربما واحدة من الافتراضات التي يمكن أن نفترضها، أن الكاتبة حينما استخدمت الشخصية (سومر) لنقل معاناتها وبوحها إلى القارئ لم يكن تيمنا بصديقتها سومر كما ذكرت، وإنما ليكون مجرد قناع تتقنع به لتستطيع البوح بشكل صريح، إذ إن ما قدمته لنا من أحداث ووقائع من الصعب أن نجد امرأة كتبت بمثل هكذا صراحة، ولا سيما حينما نتحدث عن امرأة عراقية، حيث عانت من سلطة ذكورية ومن مجتمع لم يسمح للمرأة بالتكلم بحرية، وأن تكلمت فيكون ذلك وفقاًلأنظمة وقوانين فرضها عليها وجعلها ملازمة لها.

يتضح وجود أكثر من راوٍ في هذه السيرة، ومن ذلك وجود الراوي المشارك،إذتقول: " كنت شابة في عمر لا زال يتلمس ملامح الناس عبر العطر والابتسامة البريئة، أردت تغيير العالم، حلمت بيوم يحتفل به الناس في كل مكان بإنهاء آخر رصاصة، انخرطت في تجمع يدافع عن حقوق المرأة في عالم إسلامي للذكر فيه مثل حظ الأنثيين وتأتي الأيام السوداء"[٦٣]، في النص تتحدث الشخصية عن نفسها باستخدام ضمير الأنا مرة وضمير الغائب مرة أخرى، لتعبر عن ملامح عمر الشباب التي وصفتها بالبراءة والابتسامة والعطر، دلالة على جمال تلك المرحلة قبل أن تتلوث، أعطت مساحة لنفسها حينما تحدثت بضمير الغائب لتعبر عن أمنيات الشباب وطموحاتها التي تأملت فيها المرأة ان تحصل على حقوقها وتنهي رصاصات التفرقة، كما ان في النص أيضاً إشارة للمجتمع الذي وصفته بأنه إسلامي وذكوري، وربما تكون الإشارة لضياع حقوق المرأة في مثل هذه المجتمعات، وقد تكون إشارة منها للقيود التي تفرضها مثل هذه المجتمعات على المرأة التي في ظلها تتحول حياة المرأة إلى سواد، بفعل تقيدها وسلب حقوقها ومصادرة صوتها، وبيّنت بقولها للذكر مثل حظ الأنثيين، أن بعض نصوص القرآن هي المرجع الذي استند إليه الرجال لفرض السيطرة ومصادرة حقوق النساء وتغليب الصوت الذكوري وعدم السماح لصوت المرأة بالظهور.

وتقول أيضاً في موضع آخر من السيرة:" انطلقت الحافلة بنا البارحة، حين أبصر وجهي في المرآة أراه وقد أصفرّ بشكل واضح، أتذكر أن معي طفلاً يسكن أحشائي وأنا المسؤولة الوحيدة عنه لأنني أقرب له من كل البشر ولأنني استطيع وحدي العناية به دون سواي، أتألم لهذا، لكن الوضع السياسي يغصبني ويجبرني على القسوة عليه وعلى نفسي"[٦٤]. يشيرالنص إلى الحالة التي وصلت إليها، لاسيما أنها مسؤولة عن روح أخرى تسكن أحشائها، فهي الوحيدة المسؤولة عنه ولكن الوضع السياسي كان يجبرها على القسوة عليه حتى تتمكن من الاستمرار بالعيش وإكمال طريقها، وربما يحتمل النص وجهة نظر أخرى حيث يمكن أن نذهب إلى أن النص قد أشار إلى الأنا الداخلية للذات والتي شبهتها بالطفل الصغير الذي من واجبها أن تعتني به ولا تميته وتبقيه يغذي روحها بالبراءة وجمال الروح الطفولية، فكل منا يجب أن يحافظ على أناه الداخلية وعلى ضميره وعلى روحه الطفولية التي تجعله ينظر إلى الحياة بعين الطفل التي كلها أمل وحب للحياة على الرغم من قسوة ما حوله، إلا أن الظروف و قسوتها و صعوبة المواقف تجعلها تقسو على نفسها و على تلك الروح بداخلها و تتقنع بقناع القسوة كي تتمكن من العيش والاستمرار، ومن هذه المواقف أو الظروف هي الوضع السياسي الذي تسبب بتعكير حياة الكثيرين .

ويتضح حضور الراوي الخارجي في قولها: " سومر" الشابة العاشقة و الساكنة مقابل شقتي، تعرفت إليها مع طفلتها التي طالما و صلني صوت بكائها منتصف الليل، ليس لديها علاقة مع أحد في البناية سواي، فهي من ذات البلد الذي يقهر أبناءه و يطردهم جبابرته، لم تستطيع تعلم اللغة الكافية التي تؤهلها للبوح بغير لغتها، سمعتُ مرات ألحاناً خارجة من بيتها، صوت عود شجي يثرثر ويبكي، أحياناً تشاركني سومر المصعد مع طفلتها الملتصقة بها التصاقاً يذكرني بالتصاق ابنة عمتي الوحيدة بأمها، حتى أنني لا أتخيل صورة عمتي من دون ابنتها الطالعة منها كيدٍ أو رجلٍ ثالثة "[٦٥]، في النص إشارة إلى شخصية أخرى اسمها سومر التي تتفق معها كونها من البلد نفسه وشاركتها المعاناة والألم والعذاب، وأشارت للظلم القابع في البلد، للنفوذ المتحكمة بمصائر الناس، كما أوضحت مدى الألم الذي عانين منه وهن في غربة لامست حتى أرواحهم، فعاشوا غربة الوطن والروح، واصفة البلد وحكومته بأنهما السبب في غربتهم وطردهم ومعاناتهم.

وان الراوي الخارجي قد تحول و أصبح هو السارد، حيث يقوم بسرد أحداث ووقائع خاصة به ينقلها لنا عن طريق الروائي، فيصبح الروائي عين ناقلة، و كأنه ينقل لنا الوقائع و الأحداث، كما لو أنها عاشت هذه الأحداث و عاصرتها.

وتقول في موضع آخر من السيرة " تأتيني سومر باكية طالبة مني أن أكتبها. أطلب منها الجلوس على الأريكة،لكنها تنهار على الأرض من شدة الحزن ،...، ثم تؤكد علي قائلة: اكتبي كل قهري، قولي لهم بالكتابة كل شيء عن معاناتي، فمهما كانت عذاباتي، ها أنا أسمعها قبل أن توضع على الورق، مثل رنّة موسيقية سجنتها أفكاركم كشكوى مخنوقة، عجزت عن إيصال صوتي لكم عبرأوتاري، وها أنا أعزفُ على قلبي، لا على العود"[٦٦]، ثمة إشارة في النص لصوت آخر يشارك الكاتبة صوتها، وهو صوت سومر التي تطلب بأن تدون المها و حزنها و عذابها بعد أن عجزت عن توصيل صوتها وألمها للآخرين، وقد يكون هو قناع للكاتبة نفسها تقنعت به لتتاح لها مساحة وحرية اكبر للحديث.

امتلك الراوي في هذه السيرة ميزتان، الأولىبانه تحدث عن نفسه، والثانية بانه تحدث عن الأخرين، وهنا اكتسب صفة الراوي العليم، حيث لم يعد للشخصية أسرار، إذ أصبح الراوي يعرف ما يجري من وقائع في دواخل الشخصية؛ بل حتى في أحلامها، ومن ذلك تقول: " في احدى الليالي وحينما كان مسافراً بدوني،حلمت به طوال الليل،وبقيت احلم به، أراه في كل إغفاءة حزيناً، أستفيق مذعورة ثم أعود للنوم فيعاودني الحلم نفسه،أقلقني الحلم كثيراً وأيقنت أن أمراً سيئًا حصل له[٦٧].

يتضح فيما تقدم ان الراوي العليم في هذه النماذج كان هو الأداة الأقوى في عرض المضمون،لاسيماان السير محل الدراسة قد كتبت بأقلام نسوية،تسعى وراء أثبات هويتها بشتى الوسائل والطرق،فضلاً عن أننا نستطيع ان نفترض ان اختباء الكاتبة خلف الشخصية ما هو إلا قناع أرادت التقنع به لتستطيع أن تفسح المجال لنفسها للحديث بشكل صريح، لاسيما حينما تتحدث

عن أمور تتنافى مع المجتمع والتقاليد والعادات.ولابد من الإشارة إلى أن وجود الراوي المشارك في السير محل الدراسة لا يمنع من وجود شكل آخر للراوي كالراوي الخارجي أو الراوي العليم .

الهوامش

[١]- ينظر: الذات المروية على لسان الأنا (دراسة في نماذج من الرواية العربية) أطروحة دكتوراه، منال عبد العزيز العيسي، جامعة الملك سعود، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، ٢٠١٠ : ٦٠.
[٢]- نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ،جرار جنيت و مجموعه مؤلفين، منشورات الحوار ،ط١ ، ١٩٨٩ : ٣٨.
[٣]- الشعرية – تزفيطانطودروف، دار توبقان للنشر_المغرب ، ط١، ١٩٨٧: ٥١.
[٤]- ينظر: السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ١١٥.
[٥]- ينظر: الذات المروية على لسان الأنا: ٧٨- ٨٠.
[٦]- الشعرية، طودروف : ٥٦.
[٧]- ينظر: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ١١٢.
[٨]- ينظر: الشعرية، طودروف : ٨٠.
[٩]- ينظر: الذات المروية على لسان الأنا: ٥٨.
[١٠]- ينظر: التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة) شلوميت ريمون كنعان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٩٥: ١١٣- ١١٤.
[١١]- ينظر: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ١٢.
[١٢]- ينظر: أشكال التخييل، من فتات الأدب والنقد، د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٦: ٥٢.
[١٣]- الذات المروية على لسان الأنا :١٣٠ .
[١٤]- تـداخل الأنـواع الأدبية وشعرية النـــــوع الهجين (جدل الشعرية والسرد)، د. عبد الناصر هلال:٤١ .
[١٥] - طوارق الظلام، توفيق جاني الناشي، وابتسام نعيم الرومي، الكتاب مسجل في الدائرة السويدية المختصة بالتأليف والنشر: ١٠٦.
[١٦] - تداخل الأنواع الأدبية: ٤٩.
[١٧] - ينظر: المفكرة النقدية، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨: ٢١٠.
[١٨]- طوارق الظلام : ٦٣.
[١٩] - م. ن: ١٤٧.
[٢٠]- م. ن: ٧١.
[٢١]- م. ن: ٣١.
[٢٢]- م. ن: ٨٩.
[٢٣]-م. ن: ٧٨
[٢٤]- ينظر: تداخل الأنواع الأدبية: ٤٩.
[٢٥]- البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، د. موفق رياض مقدادي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ٢٠١٢: ٧١.
[٢٦]- ينظر الذات المروية على لسان الأنا: ١٥٨.
[٢٧]- ذكريات امرأة عراقية (التقرير الأخير)، نجاة نايف سلطان، دار الوراق، ط١، ٢٠١٢: ٧.
[٢٨]- م. ن: ١٧٣.
[٢٩]- م. ن: ٩ – ١٠ .
[٣٠]- م. ن: ١٤٨ .
[٣١]- أميرة بابلية، ماري تيريز اسمر، ترجمة أمل بورتر، منشورات الجمل- بغداد، ط١، ٢٠١٠: ١٩.
[٣٢]- م. ن: ٢١.
[٣٣]- م. ن: ٣٤.
[٣٤]- م. ن : ٧٢.
[٣٥]- م. ن: ٢١٣.
[٣٦]- ميادة ابنة العراق، جين ساسون، شـــركة المطبوعـــــات للتـــوزيع والنـــــشر- بيـــروت، ط١، ٢٠١٤: ١٥.
[٣٧]- م. ن: ٢٢.
[٣٨]- ينظر: أدب السيرة الذاتية، د. عبد العزيز شريف، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٢: ٦.
[٣٩]- ميادة ابنة العراق: ٥٢.
[٤٠]- م. ن: ٦٤- ٦٥.

[٤١]- ينظر:آليات السرد بين الشفاهية والكتابية، دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، سيد إسماعيل ضيف الله، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ٢٠٠٨: ٤٨.
[٤٢]- ينظر: تداخل الأنواع الأدبية: ٦٠.
[٤٣]- ميادة ابنة العراق: ٣٣.
[٤٤]- تداخل الأنواع الأدبية: ٤١.
[٤٥]- ميادة ابنة العراق: ١٩٠.
[٤٦]- ينظر:تداخل الأنواع الأدبية ، ٤٠.
[٤٧]- نساء الظل: قراءة في كتاب ميادة ابنة العراق، نعيم شريف، الحوار المتمدن، العدد - ٢٠٨٧، قراءات في عالم الكتب والمطبوعات. www.ahewar.arg
[٤٨]- مذكرات وريثة العروش، الأميرة بديعة ابنة الملك علي حفيد ملك العرب الشريف حسين بن علي تروي سيرة أهلها ملوك وملكات الشام والحجاز والأردن والعراق (أهم وثيقة عربية في القرن العشرين)، فائق الشيخ علي، دار الحكمة - لندن، ط٦، ٢٠١٤: ٥٧.
[٤٩]- مذكرات وريثة العروش: ٢٨.
[٥٠]- ينظر: شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥: ٨٥.
[٥١]- مذكرات وريثة العروش: ٧٨.
[٥٢]- م. ن: ٩٣.
[٥٣]- م. ن: ٢٢.
[٥٤]-صفحات من حياة نازك الملائكة (حكاية مع الأدباء)، حياة شرارة، دار المدى للثقافةالنشر، ط٢، ٢٠١١: ١٧.
[٥٥]- م. ن: ٢٧.
[٥٦]- م. ن: ٥١.
[٥٧]- م. ن: ٧٩- ٨٠.
[٥٨]-م . ن: ٨٤.
[٥٩]- م. ن: ١٦٨.
[٦٠]- ينظر:- الذات المروية على لسان الأنا: ١٣٦.
[٦١]- ينظر:- الرقيب وآليات التعبير في الرواية العربية النسوية، رنا عبد الحميد سلمان الضمور(أطروحة دكتوراه) جامعة مؤتة، ٢٠٠٩:. ١٢٢.
[٦٢]- هروب الموناليزا، بلقيس حميد حسن، فصل من سيرة ذاتية للكاتبة والنساء عرفتهن في طريق الحياة، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٣:. ١١.
[٦٣]- م. ن: ١٣.
[٦٤]- م. ن: ١٠٣.
[٦٥]- م. ن: ١٦.
[٦٦]- م. ن: ٢٣.
[٦٧]- م. ن:٥٠

المصادر والمراجع

١. آليات السرد بين الشفاهية والكتابية، دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، سيد إسماعيل ضيف الله، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ٢٠٠٨.
٢. أدب السيرة الذاتية، د. عبد العزيز شريف، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٢.
٣. أشكال التخييل، من فتات الأدب والنقد، د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٦.
٤. أميرة بابلية، ماري تيريز اسمر، ترجمة أمل بورتر، منشورات الجمل- بغداد، ط١، ٢٠١٠.
٥. البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، د. موفق رياض مقدادي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ٢٠١٢.
٦. التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة) شلوميت ريمون كنعان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٩٥.
٧. تـداخل الأنـواع الأدبية وشعرية النـــــوع الهجين (جدل الشعرية والسرد)، د. عبد الناصر هلال.
٨. الذات المروية على لسان الأنا (دراسة في نماذج من الرواية العربية) أطروحة دكتوراه، منال عبد العزيز العيسي، جامعة الملك سعود، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، ٢٠١٠.
٩. ذكريات امرأة عراقية (التقريرالأخير)، نجاةنايفسلطان، دارالوراق، ط١، ٢٠١٢.
١٠.الرقيب وآليات التعبير في الرواية العربية النسوية، رنا عبد الحميد سلمان الضمور(أطروحة دكتوراه) جامعة مؤتة، ٢٠٠٩.

١١.الشعرية – تزفيطانطودروف، دار توبقان للنشر- المغرب ، ط١، ١٩٨٧.
١٢.شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
١٣.صفحات من حياة نازك الملائكة (حكاية مع الأدباء)، حياة شرارة، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، ٢٠١١.
١٤.طوارق الظلام، توفيق جاني الناشي، وابتسام نعيم الرومي، الكتاب مسجل في الدائرة السويدية المختصة بالتأليف والنشر.
١٥.مذكرات وريثة العروش، الأميرة بديعة ابنة الملك علي حفيد ملك العرب الشريف حسين بن علي تروي سيرة أهلها ملوك وملكات الشام والحجاز والأردن والعراق (أهم وثيقة عربية في القرن العشرين)، فائق الشيخ علي، دار الحكمة - لندن، ط٦، ٢٠١٤.
١٦.المفكرة النقدية، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨.
١٧.ميادة ابنة العراق، جين ساسون، شـــركة المطبوعـــــات للتـــوزيع والنـــشر- بيـــروت، ط١، ٢٠١٤.
١٨.نساء الظل: قراءة في كتاب ميادة ابنة العراق، نعيم شريف، الحوار المتمدن، العدد - ٢٠٨٧، قراءات في عالم الكتب والمطبوعات. www.ahewar.arg
١٩.نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ،جرار جنيت و مجموعه مؤلفين، منشورات الحوار ،ط١ ، ١٩٨٩.
٢٠.هروب المونااليزا، بلقيس حميد حسن، فصل من سيرة ذاتية للكاتبة والنساء عرفتهن في طريق الحياة، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٣.